# ايلي كنعان... مسيرة ثلاثين عاماً مع اللون والنور

## تجربة لصيقة بالانطباعية اللبنانية وتجريدية باريس

السفير 07/12/1979

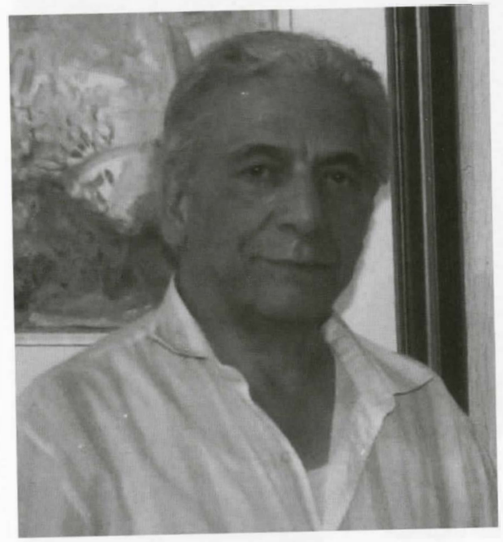

**لا يمكن التعامل مع تجربة فن إيلي كنعان من زاوية فردية، فاللوحة عنده هي ثمرة إختبارات ثلاثين عاماً من التفاعل الإيجابي بين الريشة واللون وإلتقاط وهج النور في المنظر الطبيعي. ويكفي أن نعود إلى نتاج بداياته الفنية لنستشف علاقاته الحميمة مع هاجس السمفونيات اللونية التي تدرب على التعامل معها في محترف الانطباعيين اللبنانيين: قيصر الجميل، عمر الأنسي وجورج سير(الفنان الفرنسي الذي عاش فترة طويلة في بيروت وتفاعل مع ألوان الطبيعة اللبنانية).**

المعروف في هذا المجال، إن الفنان (سير) لعب الدور ذاته الذي لعبه في سنوات سابقة الفنان خليل الصليبي في تشجيعه لقيصر الجميل على الغوص في تفهم طراوة العلاقة بين اللون والنور. فقد كشف (سير) أمام أجيال من المبدعين إيقاع التناسق اللوني المتواصل مع الطبيعة في فن الحداثة وإختبارات التجريد. وأطلق بذلك العنان للحرية التعبيرية – الغنائية في التشكيل اللبناني.

ولا بد قبل تحليل فن إيلي كنعان، من الرجوع إلى مميزات اللوحة الانطباعية اللبنانية، في مراحل إستلهامها لأجواء البيئة القروية في رموزها الفولكلورية وشاعرية ألوان الطبيعة اللبنانية المنتشية بالنور. فاللوحة الانطباعية اللبنانية، آثرت منذ بدايتها أن تكون وليمة للعين في إقتناص زهوة اللون والنور، وتجسيد المنظر الطبيعي ضمن مسار توفيقي مع القاعدة الذهبية للانطباعية الفرنسية، في تمسكها بجمالية التأليف القريب من التسطيح (لعبة إبراز المنظور الطبيعي كبعد واحد، أو بعدين، من خلال الإعتماد على تداخل المستويات اللونية، كمحاولة لكشف حدة الإنطباع وإستشفاف التماسك العضوي في إشعاعات الألوان).

ومن المخجل أن لا تمتلك الحركة الفنية اللبنانية متحفاً يكشف مراحل تطورها، لأن التحدث عن بعض المنطلقات الأساسية للبعض من مبدعينا، لا يمكن أن يترسخ إلا من خلال المقارنة والتحليل. فكيف يمكن الغوص في مسألة تملص العين الإنطباعية اللبنانية من اللونية الباريسية ومحاولات رصد اللونية المحلية، في زمن رومانسي، ينادي فيه الجميع بالعودة إلى نبض الأرض والإرتباط بالجذور.

تساؤلات كثيرة يطرحها فن إيلي كنعان، (الذي يعرض حالياً في غاليري "عبجي بيتر هوم" في الأشرفية ولغاية 15 كانون الأول الجاري)، تساؤلات تندرج إلى جانب تساؤلات سابقة، وتتخلص بضرورة المطالبة بتكريم رواد حركتنا الفنية، وإنتشالهم من حلقة التغريب، ليس بإقامة معارض تجارية على طريقة (ساميا توتونجي) وإنما بمحاولة إعادة الاعتبار لإبداعهم عن طريق التحليل والدراسة .

إيلي كنعان، في غاليري عبجي يعرض إنطباعات اللون الناضج، وكتابة فن ما بعد الانطباعية اللبنانية. فهو يتعامل مع المنظر الطبيعي كمساحة لونية رحبة.

همه الإنتشار مع زرقة السماء والبحار والغفوة في أحضان الحلم الأخضر، حيث يندمج الكل في الكل، بعد ذوبان القوالب الجامدة لأشكال الواقع الطبيعي.

لوحة الشارع

همه لغة اللون التي يلتغي فيها التفريق بين ألوان الواقع الحي وألوان الانصهار مع النفس. فهو يرسم بالنور على طريقة الإنطباعيين، ليقتنص لحظات الفرح والتأمل، ويجسدها بلمسات لونية تجريدية، لا تغيّب المنظر الطبيعي وإنما تدمج إشعاعات أنوار أشكاله في إنطباع منفلش مع نسيج المسطح الواحد، مسطح القلب، الذي يستقبل نمنمات اللون والنور.

لتفهم تجربة إيلي كنعان لا بد من العودة إلى حديث لبول كلي يقول فيه: "للإنطباعيين كل الحق في أن يسكنوا بين الأعشاب وتحت الدوالي في المنظر الطبيعي اليومي. أما نحن فإن قلبنا الخفاق يدفعنا في إتجاه الأعماق. أعماق القاع الأصلي للأشياء، وبعد ذلك يجب أن لا ننظر بعين الجد إلى ثمار هذه المرحلة في الأعماق، أكانت هذه الثمار أحلاماً أو أفكاراً أو تخيلات، سمها ما شئت، إلا إذا كانت تترابط مع الوسائل البلاستيكية المطابقة لتؤلف عملاً فنياً، إذ ذاك تصبح هذه الغرائب حقائق. حقائق الفن التي ترفع الحياة أكثر مما هي عادة. لأنه بدلاً الإكتفاء بنسخ المنظور أو بترميمه بإضافة شيء من الروحي إليه. فإننا نجعل ما أحتجب من الرؤيا مرئياً".

من هذا المنطلق، يرسم كنعان حقائق الإنطباعات المسافرة إلى الأعماق، حيث اللون صفاء، والنور إغراءات عاصفة. فهو في لعبته اللونية أنيق إلى حدود الشعر. وفي إيقاع تأليفه يبدو مغامراً تجريدياً منفتحاً على موسيقى الطبيعة، يستلهم منها نبض الرهافة والكتابة المتحررة.

ولا يمكن فصل تجربته هذه عن تيار الإنطباعية اللبنانية وتأثيرات المدرسة التجريدية الغنائية الباريسية. فهو بقدر أمانته في التعامل مع لمسات اللون والنور المحلي، نراه منتشياً في مزاولة إختبارات الحداثة الثانية مع المنظر الطبيعي حسب التجربة الفرنسية (نيقولا دو ستايل، وسارتو)، وبشكل أكثر تفاعلاً مع نشوة النور وتركيزاً على إيقاعات اللمسات التي تختصر الأشكال وصولاً إلى الوهج.

إيلي كنعان من كبار المبدعين اللبنانيين. مسحور بالنور ورومانسية الطبيعة. إلى متى يبقى وأمثاله في العتمة ودون تكريم. فقد أنتج خلال السنوات الثلاثين الماضية العديد من اللوحات التي تبرز هاجسه التجريدي وغنائيته اللونية. ولا نعرف عنها إلا الشيء القليل. ونعترف صراحة إننا لا نفي الفنان حقه إلا من خلال الإحاطة بمجمل نتاجه الإبداعي، أو على الأقل التعرف على أهم محطات مسيرته الطويلة.